مرض النوم

بحث تاريخي على معرفة العرب له قبل الافرنج بخمسة قرون

ليس لي من غرض في تدوين هذا المبحث سوى اضافة بيان جديد الى تاريخ هذا المرض الفتاك وليس لي من فضل في تسطير هذه الكلمة - ان كان هناك فضل - سوى ما توخيته من لفت الانظار الى عبارة وان كانت غير مجهولة ولكن لم ينتبه اليها احد من الباحثين حتى الآن خصوصاً من الذين تولوا كتابة تاريخ هذا المرض

تكلم ابن خلدون (وعنهُ نقل القلقشندي (١) بتصرف) على الامير جاطه ملك غانه وقال انهُ اصيب بعلة النوم وان هذه العلة اودت بحياتهِ . هذه العبارة قد وردت في الصفحة ٢٠٢ من الجزء الخامس من تاريخ ابن خلدون المطبوع في بولاق سنة ١٢٨٤ وفي الصفحة ٢٦٧ من الجزء الاول من تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب الذي طبعهُ باللغة العربية في مدينة الجزائر سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧) البارون دوسلان(٢) . وقد وردت في ترجمة البارون المذكور لهذا التاريخ (ج ٢ ص ١١٥) ولا انتقد على ترجمة ذلك المستشرق العليم سوى انهُ عبَّر عن « علة النوم » بانها « السبات » . ولا حاجة بي الى الاشارة الى ما بين اللفظين من الفرق الكبير في المعنى والمرمى . ولذلك رأيت من الواجب تنقيح الترجمة في النص الفرنسي الذي كتبتهُ عن مبحثي هذا

والآن انقل ما رواهُ ابن خلدون عن « القاضي الثقة ابي عبدالله محمد بن واسول من اهل سجلماسه وكان اوطن بارض كوكو من بلادهم واستعملوه في خطة القضاء بها » لقيه بهنين سنة ٧٧٦ فاخبره عن ملوكهم بالكثير مما كتبهُ في تاريخه

قال ابن خلدون : « انهُ اخبرهُ بان السلطان جاطه « اصابتهُ علة النوم وهو مرض كثيراً ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصاً الرؤساء منهم يعتادهُ غشى عامة زمانهِ حتى يكاد ان لا يفيق ولا يستيقظ الاَّ في القليل من اوقاتهِ ويزمن بصاحبهِ

(١) صبح الاعشى (٢) والحق يقال ان هذه الطبعة متقدمة على طبعة بولاق بنحو عشرين سنة

ويتصل سقمهُ الى ان يهلك قال فازمنت هذه العلة بجاطة هذا مدة عامين اثنين وهلك سنة خمس وسبعين بعد السبعمائة » اي في سنة ١٣٥٤ ميلادية (١)

هذا ولقد اهتمت المقامات العلمية بديار اوربا بهذا المرض الذي عدهُ القوم من الامراض الحديثة بناء على مشاهدات سياحيهم ورواده في اواسط افريقية وفي بعض بقاع الهند . وقد اخذ الافرنج العدة لمحاربة هذا الداء الفتاك واستئصال شأفتهِ ولذلك طرقت « الجمعية الملوكية » بلوندره باب الحكومة المصرية فجادت عليها منذ سنة ١٩٠٥ باعانة سنوية قدرها الف جنيه تستعين بها هذه الجمعية بما اخذتهُ على نفسها من درس مرض النوم ومكافحتهِ في افريقا الوسطى وافريقا الشرقية

يصح لنا حينئذٍ ان نقول ان كتاب العرب قد اشاروا الى هذا الداء الوبيل ووصفوهُ قبل الآن بخمسة قرون وثلث قرن . وان ذلك كان بالقاهرة على عهد المماليك ويصح لنا ان نضيف على ذلك ان عاصمة وادي النيل في العهد الحاضر لم تتنزل عن مكانتها في تلك الايام الخوالي بل كان لها شأن رنان في مكافحة هذه العلة الوبيلة فقد بلغ ما دفعتهُ الخزينة المصرية لهذا الغرض الى الآن ١٤٠٠٠ جنيه

ولا اختم هذا البحث دون التعرض الى مسألة لغوية وذلك ان جميع الكلمات المبنية على صيغة فعال تدل على حالة مرضية تستنبط المعنى الذي تدل عليهِ من مادة الكلمة وجرثومتها. فاذا نظرنا الى العلة التي نحن بصددها نجد في اللغة العربية كلمة « نوام » ذكرها اللغويون حتى القرن السادس للهجرة فقالوا « اخذهُ نوام بالضم اذا جعل النوم يعتريهِ » هذا هو تعريف الجوهري وعليهِ جرى صاحب القاموس من بعده . غير ان ابن منظور الذي اتم تأليف « لسان العرب » في القاهرة سنة ٦٨٩ للهجرة (١٢٩٠ م) اي قبل موت السلطان جاطه باكثر من ستين سنة قد ذكر لهذه الكلمة « نوام » معنى جديداً وتفسيراً لم يصل الينا عمن تقدمهُ من اللغويين المعروفين لنا . فقد قال : « اخذهُ نوام وهو مثل السبات يكون من داء بهِ » . ثم جاء السيد مرتضى الزبيدي الذي اتم شرح « القاموس » بالقاهرة في سنة ١١٨٨ للهجرة (١٧٧٤ م) فنقل هذا التفسير بنصهِ وفصوصهِ

(١) (المقتطف) ذكرنا ذلك بالاسهاب منذ ١٥ سنة في مقتطف مارس سنة ١٩٠٥

زيادة ولا تعليق فقال: « ويقال فلان (يأخذه نوام كغراب) اي (يعتريه النوم) كما في الصحاح ويقال هو مثل السبات يكون من داء به » اه

ليت شعري من اين تلقط صاحب لسان العرب هذا البيان الجديد لتلك اللفظة اللغوية ؟ هل اعتمد على رجل من اللغويين المتقدمين ام على كتاب من كتب الطب ونحن نجهل هذا وذاك ؟ والاَّ فهل هو يشير الى حالة مرضية وصفها لهُ احد الحجاج الوافدين على القاهرة من اواسط افريقية ؟ (احمد زكي)

اللوترية في انكلترا

(٢)

رأي رجال المال

بعد ما فرغ وزير المالية من كلامهِ على هذا المشروع كما لخصناهُ في الجزء الاول من هذه المقالة عقبهُ السر ادورد كوتس فقال :

حادثت بعض كبار رجال المال في الستي حيّ البورصة والسوق عن هذا الموضوع فقال لي احدهم انهُ ما فتئ منذ عهد بعيد معارضاً في ادخال اللوترية الى الاعمال المالية اما اليوم فلو كان عضواً في البرلمان لاشار بادخالها وصوت مع المصوتين لها. ومعظم الاسباب التي قدمها لتأييد رأيهِ مالية اكثر منها ادبية . انتم كلكم من رجال الدنيا (فضحك البعض وصاح البعض الآخر كلاَّ) فقطن الخطيب وقال بل انتم من رجال الدنيا ونسائها (١) (ضحك وهتاف) وانتم خير حكم فيما توحي بهِ اليكم ضمائركم عن مسئلة الصدفة والمقامرة . ولست اسمي هذا المشروع قماراً والاَّ فكلُّ رجل من رجال الاعمال يرى مقامراً مجازفاً طول عمره . وانما عمرت هذه البلاد بالمجازفة والاقدام على جلائل الاعمال . واما الاغنياء فمشروعات جمة يستثمرون بها اموالهم اما الفقراء فلا يجدون امامهم سوى مشروعات قليلة

(١) رجال الدنيا عندهم اصطلاح يراد بهِ انهم رجال خبروا الدنيا وتمرسوا باحوالها . وسبب الضحك والاعتراض ان في مجلس النواب سيدة عضوٌ فيه وهي اللادي استور . فلما قال الخطيب انتم كلكم من رجال الدنيا قال احد الاعضاء كلا فعطن الخطيب الى غرضه واصلح خطأه